سلسلة مطويات شبكة بينونة

الغيرة على عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإنَّ نِعَم الله تعالى علينا لا تُعد ولا تُحصى كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فما من نعمة تصلنا، وإحسان يُدركنا إلا من عظيم فضله سبحانه وجزيل إنعامه علينا، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن تلك النِّعَم العظيمة الدالة على إرادة الله -جل وعلا- الخير بنا: نعمة الهداية لأحب الأديان إليه -جل وعلا- وأرضاها عنده ألا وهي الهداية إلى دين الإسلام، فذاك والله طريق الفلاح وعلامة النجاة، بهذا نطق رسول الله ﷺ وشهد في قوله: «قد أفلح من هُدي إلى الإسلام»[1].

وإنَّ مما اقتضته حكمة الله -جل وعلا- أن كان بيان هذا الدين على يد نبي كريم، ختم الله به الرسالات، ونسخ به سائر الديانات، أعلى الأنبياء قدراً وأجلُّهم منزلة وفضلاً: نبيُّنا محمد ﷺ فهو أفضل نعمة وأجلُّ مِنَّة على العباد، بعثه الله تعالى إلى الناس لغايات حميدة، ومقاصد جليلة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] نعم، ضلال في الاعتقاد، وضلال في العبادات، وضلال في الأخلاق، شرك بالله وعبادة للجمادات، قطع للأرحام، وسفك للدماء، وهتك للأعراض، واعتداء على الممتلكات ونهب للأموال، يتعالى الكبير على الصغير، ويأكل القوي الضعيف، والغني الفقير، فما أن بُعِث ﷺ إلا وأشرق بفضل بعثته التوحيدُ

(١) رواه ابن ماجه (٤١٣٨)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١٥٠٦).

على ذلك الظلام الحالك، فزال عندها الشرك، وظهرت السُّنة، وفشا الخير وذاع، وأدبر الشر بأبوابه أجمع، ما ترك ﷺ خيراً إلا دل عليه، وأرشد إليه، ولا شراً إلا حذَّر منه، ونهى عنه.

يقول عمرو بن عَبَسة ﷺ: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرءاء عليه قومُه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأيِّ شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحَّد الله لا يشرك به شيء»[٢].

فصلوات ربي وسلامه عليه، كم واجه في سبيل إيصال الخير إلينا من صعاب، وكم تحمَّل من مشاق، وكم صبر من أجل ذلك ليالي وأياماً وسنين شداداً، حتى قال ﷺ: «لقد أُخِفتُ في الله وما يُخاف أحد، ولقد أوذيتُ في الله وما يُؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال»[٣]، أي: ما مَعَنا من الطعام إلا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه، رُمي ﷺ بالغواية، ووُصف بالجنون، واتُّهم بالكهانة، استهزئ بشخصه المبارك ﷺ، حوصر في بيته، وخُطِّط مراراً لقتله والفتك به، رُفع السلاح في وجهه الكريم وحُذِّر من دعوته المباركة، وُضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد لربِّه، بل وضع اليهود له السم في الطعام الذي دعوه إليه، أُخرج من بلده، بل وصل الأمر بالمنافقين

(٢) رواه مسلم (٨٣٢).
(٣) رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٨١).

إلى الطعن في فراشه الطاهر ﷺ، إلى غير ذلك من أنواع الأذى وصنوفه الذي لقيَه ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله وإنقاذ الخَلْق والأخذ بهم إلى صراط الله المستقيم، وهو ﷺ في كل ذلك صابر محتسب.

يقول ربيعة بن عباد: «رأيتُ أبا لهب بعكاظ -وهو يَتبع رسولَ الله ﷺ - وهو يقول: يا أيها الناس، إن هذا قد غوى فلا يُغوينَّكُم عن آلهة آبائكم»(٤).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يَتبع الناسَ في منازلهم بعكاظ ومجنَّة، وفي المواسم بمنى، يقول: «من يؤويني؟ من ينصرني حتى أُبلِّغ رسالة ربي وله الجنة؟» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مُضَر فيأتيه قومُه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع(٥).

وعن عروة بن الزبير قال: «سألتُ ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينا النبي ﷺ يُصلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾»(٦).

ولا زالت سهام الأعداء تتتابع نحو نبيِّنا ﷺ إلى يومنا هذا، بل وتشتد يوماً بعد يوم، وذلك بالتنقص منه ﷺ والطعن فيه ووصفه بأشنع الصفات، والوقيعة في عِرضه بأقبح الكلمات، والإساءة إليه بإطلاق أسوأ الألفاظ عليه والعبارات، وهذه سُنَّة قديمة من سنن الكفار والمشركين،

(٤) رواه أحمد (١٦٠٢٠).
(٥) رواه أحمد (١٤٤٥٦)، وصحَّح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٣).
(٦) رواه البخاري (٣٨٥٦).

قال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ولا شك أن بثَّ هذه الإساءات عبر وسائل الإعلام المختلفة والمجاهرة بذلك مما يؤلم نفس كل مؤمن، ويحزن قلبه، ويكدِّر باله، ويزعجه إزعاجاً عظيماً، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أنَّ المحاربة بسبِّ نبيِّنا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد»(٧).

إنَّ هذه الهجمات المتوالية من أولئك الكفرة لتعكس لنا ما تنطوي عليه نفوسهم تجاه المسلمين عموماً ونحو نبيِّنا ﷺ خصوصاً من البُغض والكُره والمعاداة قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وأمرُ هؤلاء لا يقف عند هذا العمل فحسب، بل غايتهم أبعد من ذلك، إنَّ حقيقة غايتهم قد أخبرنا الله عنها بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [الصف: ٨]، وبهذا البيان من ربِّنا تعالى يتبيَّن أنَّ سَلْخ المسلمين من دينهم هو هدفهم المنشود.

إنَّ سُنَّة الله تعالى في كل من انتقص النبي ﷺ أو استهزأ به أن ينتقم لنبيِّه ﷺ منه، فيفضحه ويجعله عبرة لكل معتبر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣]، فـ«وَعْد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم

(٧) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣٨٧).

بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقَتَله شر قِتْلة»[٨].

ومن شواهد ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنِّي شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد»[٩].

ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أيضاً قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللَّات والعُزَّى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، أو لأعفِّرنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلِّي، زعم ليَطأ على رقبته، قال: فما فجِئَهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتَّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لَخَنْدقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»[١٠].

وعن أنس ﷺ قال: «كان رجل نصرانياً فأسلَم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فِعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فِعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس

---

(٨) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٤٣٥).
(٩) رواه البخاري (٣٥٣٣).
(١٠) رواه مسلم (٢٧٩٧).

من الناس فألقوه »[11].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له قَصَمَه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفِن مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لِمَا قاله وأنه كان كاذباً »[12].

وهذه سُنَّة إلهية لا تتخلَّف في كل زمان -بإذن الله- ومن الحوادث العجيبة ما وقع في القرن الثامن الهجري -كما ذكر ابن حجر في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- أن بعض أمراء المغول تنصَّر، فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغول، فجعل واحد منهم ينتقص النبي ﷺ، وهناك كلبُ صيدٍ مربوط، فلمَّا أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فَخَمشَه، فخلَّصوه منه، وقال بعض من حضر: هذا بكلامك في محمد، فقال: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس، رآني أُشير بيدَيَّ فظَنَّ أني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زَرْدَمَتِه -وهو موضع ابتلاع الطعام أو تحت الحلقوم- فقلعها فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغول.

ولنا مع هذا الحدث الأليم وقفات يجدر بالمسلم أن يتفطَّن لها وأن يعتني بها:

الوقفة الأولى: أن المستقبل للإسلام وأن العاقبة لأهله، وذلك أن صدور تلك التصرفات من أولئك الناس لتدل على مدى تأثير ديننا الإسلامي الحنيف في أوساط تلك المجتمعات الطاعنة في نبيِّنا ﷺ، وقوة نفوذه في قلوبهم،

(١١) رواه البخاري (٣٦١٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧٨١).
(١٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٢/٢٣٣).

لذا صار كثير من أفراد دول الغرب يسألون عن هذا الدين، ويُقبِلون على القراءة عنه، ويستفسرون عن شخصية النبي ﷺ، ولقد اعترف أحد كتابهم بهذا فقال: «لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر»، وهذا مصداق ما أخبر به نبيُّنا ﷺ بقوله: «ليبلُغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عِزاً يُعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يُذلُّ الله به الكفر» (١٣).

وإنَّ المسلمين ليستبشرون خيراً بهذا الحدث كما كان أسلافهم يستبشرون النصر على أعدائهم وذلك بتنقص الأعداء وإساءتهم إلى النبي ﷺ، نعم يستبشرون خيراً بظهور دين الله أكثر، والإقبال على سُنَّة نبيِّه ﷺ، والعناية بها، وبمعرفة حقوقه، وتعلم عباداته وأخلاقه وتعاملاته الكريمة، ويستبشرون خيراً بانتقام الله من الطاعنين في نبيِّه ﷺ وإهلاكهم وتطهير الأرض منهم، ويستبشرون خيراً لأن الله يقول: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

الوقفة الثانية: إنَّ هذا الحدث ليُنبِّهنا على أصل عظيم من أصول الإسلام، طالما غفل المسلمون عنه أو فرطوا فيه ألا وهو: الولاء والبراء، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفر وأهله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

(١٣) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣).

فالبراء من أعداء الله لازم في كل شيء: براء من أشخاصهم، وبراء من عقائدهم، وبراء من أعيادهم، وبراء من أخلاقهم ومن كل ما كان من خصوصياتهم وعاداتهم، يقول ﷺ: « أَوْثق عُرَى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحبُّ في الله والبُغض في الله »[١٤].

الوقفة الثالثة: «إنَّ تطهير الأرض من إظهار سبِّ رسول الله ﷺ واجب حسب الإمكان؛ لأنه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمة الله»[١٥]، وإذا قلنا: إنه واجب بحسب الإمكان فهذا يعني سلوك الطرق الشرعية في الإنكار، فلا يُخرَج عن حدود الشريعة في تغيير المنكر وإزالته -أيّاً كان ذلك المنكر- والذي ينبغي على المسلمين في خصوص هذه الحادثة: نشر الكتب الموثوقة على اختلاف لغاتها والمبيِّنة لفضل بعثة نبيِّنا ﷺ والمظهر لصفاته، والكاشفة عن خطر التعدِّي على جنابه الكريم خصوصاً في أوساط الجاليات المقيمة ببلاد غير المسلمين وغيرها من البلدان، واغتنام الفرصة في نشر السُّنة بين أوساط عامة المسلمين، وبيان فوائدها وثمارها، والإقبال على قراءة السيرة النبوية وتعليمها الأطفال، وكذا العناية ببيان خطر ما يصدر من بعض المسلمين -هداهم الله- من السخرية بسُنَّة النبي ﷺ أو الاستهزاء بالمستقيمين على هديه ووصفهم بالتعقيد أو التزمُّت أو التشدُّد، وتعريف الناس -والناشئة منهم خصوصاً- بخطر الكفار على المسلمين وغرس مبدأ الولاء والبراء في نفوسهم غرساً يوافق مراد الله ومراد رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ:

(١٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٥٣٧)، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٩٨).

(١٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥٣٩/٢).

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، «فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجوداً وعدماً من غير سبب يزاحم ذلك»[١٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الله منتقم لرسوله ممَّن طعن عليه وسبَّه، ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا: ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عمَّا جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حَصَر المسلمون فيها بني الأصفر -أي: النصارى- في زماننا قالوا: كنَّا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذ تعرَّض أهلُه لسبِّ رسول الله ﷺ والوقيعة في عِرضه، تعجَّلنا فتحه وتيسَّر ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عَنْوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنَّا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه»[١٧].

الوقفة الرابعة: إن الدعوة إلى مقاطعة المنتجات الأجنبية من الدول الطاعنة في نبيِّنا ﷺ حقٌّ لوليِّ الأمر، فهو الذي يُقدِّر المصلحة وعنده من النظر التام والإدراك الكامل ما لا يوجد عُشْره عند بعض أفراد الناس، وهو الذي يحدد جوانب المقاطعة، سواء كانت مقاطعة جزئية في بعض السلع أو كلية في جميعها من حيث الضرر على الدول السَّابة رسول الله ﷺ ويُعيِّن المصالح والمفاسد المترتبة على المقاطعة.

فهذا يسد باب الفوضى على المجتمع، ويغلق باب

(١٦) الجواب الصحيح لابن تيمية (٦/٤١٦).
(١٧) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٢/٢٣٤).

الحماس غير المنضبط، وعليه فلا يجوز الطعن في عقائد المسلمين أو اتهامهم بعدم محبة النبي ﷺ، وعدم الغيرة على عرضه الشريف ﷺ لعدم مقاطعتهم منتجات الدول المتنقِّصة من رسول الله ﷺ.

ولا يخفى على كل ناظر في سيرة رسول الله ﷺ أنه -عليه الصلاة والسلام- قد تعامل مع اليهود إلى آخر حياته مع ما قاموا به من وضع السم له في الطعام، ومحاربة دينه، والتآمر على قتله، بل «**توفِّي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير**»(١٨).

فهذه الأمور لا تؤخذ بالعاطفة وإنما تؤخذ بالتعقُّل والأناة والرزانة والاتِّزان والرجوع إلى أهل الحَلِّ والعَقْد وغيرذلك.

ختاماً: نداء إلى كل مسلم أحبَّ النبي ﷺ، وخالطت بشاشة الإيمان قلبه، عليه أن يعرف لهذا النبي الكريم فضله، وأن يجتهد في القيام بحقِّه من تحقيق الإيمان به واتِّباعه، والدفاع عنه ونصرته، والرد على من تطاول على سُنَّته أو سخر منها، ومن توقيره وإجلاله، والتأدب معه والتخلُّق بأخلاقه بلا غلو ولا جفاء، فهذه هي النصرة الحقيقية، لا الهتافات والخروج للمظاهرات، وإعلان الاعتراضات، وإظهار الاحتجاجات، فكل هذه المواقف تذهب هباءً منثوراً.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١٨) رواه البخاري (٢٩١٦).